تعظيم القرآن الكريم عند الشيخ السعدي من خلال كتابه: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)

أ. د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري

الأستاذ في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم تعظيم القرآن الكريم، وحقيقته ومقاييسه وأهمية غرسه في المجتمع، وبيان أثر تعظيم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع، وبيان جوانب تعظيم القرآن الكريم عند الشيخ السعدي في تفسيره: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان). ولأجل ذلك فقد قسم الباحث دراسته إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة، واعتمد المنهجين الاستقرائي والتحليلي؛ لتحقيق أهداف الدراسة. وتوصل إلى عدة نتائج من أبرزها: إن موضوع تعظيم القرآن الكريم حاز قصب السبق عند الشيخ السعدي، من جوانب عديدة متمثلة بالأمر بتدبره، وبيان أوصافه، وخصائصه، وبيان قصصه، وأمثاله، وأحكامه، وبيان عظمة من أنزله، وبيان عظمة من أُنزِلَ عليه، وبيان ما اشتمل عليه من أصول الآداب والأخلاق.

الكلمات المفتاحية: التعظيم – التفسير – المقاييس — السعدي

Abstract

The current research aims to clarify the concept of maximizing the Holy Qur'an, its truth and measures, and the importance of its instillation in society, and clarify the impact of maximizing the Holy Qur'an on the individual and society, and to clarify the aspects of maximizing the Holy Qur'an by Sheikh Al-Saadi in his interpretation: (***Taysīr Al-Karīm Al-Rahmaan fī Tafsīr Kalām Al-Mannān)***. For this reason, the researcher has divided his study into an introduction, two topics, and a conclusion. To achieve the objectives of the study, the researcher has adopted the inductive and analytical approaches. The research has revealed several findings, the most prominent of which are: The topic of maximizing the Holy Qur'an took precedence by Sheikh Al-Saadi, in many aspects, represented by the imperative to ponder, explaining its descriptions and characteristics, explaining its stories, proverbs, and provisions, and explaining the greatness of Allah, and clarifying the greatness of whom it was revealed, clarifying the origins of morals and ethics it involved.

Key Words: Maximizing- Interpretation - Measures - Al-Saadi

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً، وأخبر أنه لا يعتريه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يسترشد بهداه السائرون، ويستنير بنوره السالكون، ويغترف من أسراره البديعة المستبصرون، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وخيرته من خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه والسائرين على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد: فإن كل بركة وسعادة وخير في الدنيا والآخرة؛ فسببها الاهتداء بهدي القرآن، والاعتصام به، والتمسك به. فهو الحق المبين، والصراط المستقيم، والهادي إلى دار السلام، والكاشف عن الطريق الموصلة إلى دار أهل الغواية والضلال، آياته أحكمت من لدن حكيم خبير، وبُيِّنت أكمل تبيين، وفُصِّلت أوضح تفصيل، فلا يُخبر إلا بالصدق، ولا يأمر إلا بالعدل والبر، ولا ينهى إلا عن الفحش والمساوئ والمضار. وقد أمرنا الله بتدبره، والتفكر فيه؛ لأن تدبره مفتاح كل خير، ومصدر كل علم، وهو نور الأبصار، وشفاء القلوب.

فإذا علم هذا، علم افتقارنا لمعرفته، وحاجتنا له، وكان حرياً بنا أن نبذل فيه جهدنا، ونستفرغ فيه وسعنا، ونستقصي فيه طاقتنا، ونتفهَّمه ونتدبَّره كما أمر ربنا بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ولما كان الشيخ السعدي رحمه الله من العلماء الأفذاذ الذين كانت لهم نظرات ثاقبة في الكشف عن مضامين هذا الكتاب الكريم، أحببت أن أجمع ما كتبه في تفسيره حول تعظيم كتاب الله تعالى.

إشكالية البحث: تكمن مشكلة البحث في عدم وجود دراسة وافية في بيان حقيقة التعظيم، ومقاييسه، وكيفية غرسه، وكشف جوانبه، وأثره على الفرد والمجتمع، وهذا البحث يسعى لسد هذه الفجوة البحثية، وعرض تجلياتها من خلال تفسير تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبد الرحمن السعدي، وهو يجيب عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقصود بتعظيم القرآن الكريم؟

٢. ما حقيقة تعظيم القرآن الكريم، وما مقاييسه؟

٣. أين تكمن أهمية غرس تعظيم القرآن الكريم في المجتمع؟
٤. ما أثر تعظيم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع؟
٥. ما جوانب تعظيم القرآن الكريم عند الشيخ السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن؟

أهداف البحث: يسعى الباحث من خلال البحث لتحقيق الآتي:

١. بيان مفهوم تعظيم القرآن الكريم.
٢. توضيح حقيقة تعظيم القرآن الكريم. ومقاييسه..
٣. أهمية غرس تعظيم القرآن الكريم في المجتمع
٤. بيان أثر تعظيم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع.
٥. شرح جوانب تعظيم القرآن الكريم عند الشيخ السعدي في تفسيره: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث في الآتي:

١. تعلقه بتعظيم القرآن الكريم، وخير البحوث ما كان خادماً للقرآن الكريم، مبرزاً لفضائله، مبيناً لخصائصه.
٢. إن قضية تعظيم القرآن الكريم تعتبر من قضايا الإيمان الكبرى، ومن أشرف أعمال القلوب، وهي من القضايا المتجددة.
٣. انطلاق هذا البحث من كتاب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، وهو من أعلام العصر المشار إليهم بالبنان، فضلاً عن تبيينه لجوانب كثيرة في كيفية تعظيم القرآن الكريم.

المصطلحات والمفاهيم: أهم مصطلح سيرد في هذا البحث هو التعظيم، وهو قليل التعريفات، وسيسعى البحث لكشف ماهيته – بحول الله تعالى وقوته – في تمهيد البحث، ويليه مصطلح المقاييس وسوف يعرض له الباحث عن بيان مقاييس التعظيم.

الدراسات السابقة: هناك دراسة واحدة تناولت موضوع تعظيم القرآن الكريم من جوانب أخرى، تختلف مع هذه الدراسة، وهي دراسة: محمود بن أحمد الدوسري

(١٤٢٥هـ)، بعنوان: عظمة القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الوطنية بالجمهورية اليمنية، وقد هدفت الدراسة إلى التعريف بمفهوم تعظيم القرآن الكريم ومظاهره ودلائله وعظمة أسلوبه ومقاصده، كما هدفت إلى بيان عظمة فضائل القرآن وأهمية القرآن في حياة المسلمين وحقوقه عليهم، وقد استخدم الباحث المنهجين الاستقرائي والاستنباطي لتحقيق أهداف البحث، وتوصل إلى جملة من النتائج أهمها: إنَّ عظمة القرآن تأخذ عدة معانٍ منها: سمو معانيه، وفخامة أسلوبه، ووسطية منهجه، وشمول أحكامه، وقوة تأثيره، واستقامة أهدافه ونبلها، كما توصل إلى أن من مظاهر عظمة القرآن ودلائله: كثرة أسمائه وأوصافه، واتساقُه على نمط واحد، وتحقُّق أخباره الغيبية المستقبلية، وأنه معجزة لا تنتهي، وفيه جمع كلَّ ما يحتاج إليه البشر في المعاش والمعاد، وأنه يخاطب العقل والعاطفة معاً، كما توصل إلى أن من عظمة مقاصد القرآن إقامة الدين وحفظه، وتصحيح العقائد والتصورات، ورفع الحرج عن المكلَّفين، وتقرير كرامة الإنسان وحقوقه، وهذا البحث يختلف عن هذه الدراسة جملة وتفصيلًا؛ حيث سيتطرق لمقاييس التعظيم وكيفية غرسه في قلوب أبناء الإسلام، فمن خلالها يستطيع المربي والداعية ومن يعنى بتوعية المجتمع أن يقيس مدى تحقق التعظيم عند من يربيهم ويعلمهم. فينطلق المربي من هذه المقاييس، ويجعلها كموجهات للعملية التربوية؛ لأن هذا الجيل هو المستهدف من قبل كل التيارات الخيرة والشريرة، وفي البحث أيضًا محاولة جادة لربط المسلمين بكتاب ربهم وتعريفهم بالطرائق المثلى للتعظيم والإجلال.

منهج البحث وإجراءاته: يعتمد الباحث على المنهج الاسترادي والوصفي، والاستقرائي، والتحليلي؛ من خلال الحديث عن ترجمة الشيخ السعدي، ثم جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث، ثم النظر في كتاب التفسير للسعدي وما قاله حول هذه الآيات، ثم تتميم الموضوع من خلال البحث والتقصي الكتب الأخرى كالبحث في كتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب الزهد والتربية والتوجيه، وقد اتبعت في كتابة البحث الإجراءات الآتية:

١. تقسيم البحث لجانبين جانب نظري وجانب تطبيقي، الجانب النظري لشرح فكرة الموضوع وتأصيلها، والجانب التطبيقي لتعضيد تلك الفكرة وتأسيسها
٢. الاستقراء الأغلبي لآيات القرآن الكريم المتعلقة بأسمائه وأوصافه.
٣. النظر فيما ذكره الشيخ السعدي حول تلك الآيات
٤. توظيف النقول فيما يخدم فكرة الموضوع ويجليها
٥. النقل من كتب المفسرين المعتبرين قدر الاستطاعة لتأكيد وتقرير كل فكرة
٦. تحليل الأقوال بحسب ما يفتح الله به عليَّ من فهم.
٧. كتابة الآيات برسم المصحف العثماني
٨. تخريج الأحاديث والحكم عليها.

حدود البحث: سيتناول الباحث: تعظيم القرآن الكريم من خلال كتاب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ: عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى.

هيكل البحث: يتكون هذا البحث من: مقدمة، **وتمهيد**، ومبحثين، وخاتمة موزعة كالآتي:

التمهيد وفيه: (مفهوم التعظيم – التعريف بالشيخ السعدي – التعريف بكتاب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).

المبحث الأول: حقيقة التعظيم للقرآن، ومقاييسه، وأهميته، وأثره عند الشيخ السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن، ويحوى أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة تعظيم القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مقاييس تعظيم القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أهمية غرس تعظيم القرآن الكريم.

المطلب الرابع: أثر تعظيم القرآن الكريم عند الشيخ السعدي.

المبحث الثاني: جوانب تعظيم القرآن الكريم عند الشيخ السعدي في تفسيره: (تيسير الكريم الرحمن)، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعظيم القرآن الكريم من خلال الأمر بتدبره.

المطلب الثاني: تعظيم القرآن الكريم من خلال بيان أوصافه وخصائصه.

المطلب الثالث: تعظيم القرآن الكريم ببيان قصصه وأمثاله.

المطلب الرابع: تعظيم القرآن الكريم ببيان أحكامه.

المطلب الخامس: تعظيم القرآن الكريم ببيان عظمة من أنزله.

المطلب السادس: تعظيم القرآن الكريم ببيان عظمة من أنزله عليه.

المطلب السابع: تعظيم القرآن الكريم ببيان ما اشتمل عليه من أصول الآداب والأخلاق.

الخاتمة: وفيها النتائج وأهم التوصيات.

التمهيد

أولاً: مفهوم التعظيم:

معنى التعظيم في اللغة والاصطلاح:

التعظيم في اللغة: مصدر (عظَّم)، ثلاثي مزيد بالتضعيف، وهذه المادة "أصل واحد صحيح يدل على كِبَرٍ وَقوةٍ"(١)، تقول: عَظُمَ الشيء؛ أي: كبُر فهو عَظِيمٌ، والعَظَمَةُ: الكبرياء(٢). "وأَعْظَمْتُ الأمر وعَظَّمْتُه: تعْظِيمًا؛ مثل وقَّرْته توقيراً وفخمته"(٣). فهو يدل على: "التفخيم والتبجيل ورعاية الحرمة، فيها إيجاد عظمة الله على اللسان وفي النفس بالقول أو الفكر، ومنه قول الرسول ﷺ: "فَأَمَّا الرُّكُوعُ فعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ"(٤)، أي: اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة، ويجوز أن يكون معناه: قولوا: (سبحان ربي العظيم)، ولا مانع من الجمع بينهما في الركوع، أي التعظيم في النفس والتعظيم بالقول"(٥).

التعظيم في الاصطلاح: من معني التعظيم لغة يمكننا أن نستخلص المعنى الاصطلاحي له فنقول: التعظيم هو: التوقير والتفخيم، والإجلال للشيء.

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عيد السلام هارون، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م)، ج٤، ص٣٥٥.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ص٤٦٧.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (بيروت، المكتبة العلمية)، ج٢، ص٤١٧.

(٤) القشيري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، الحديث رقم: (٤٧٩)، ج١، ص٣٤٨.

(٥) الجوهري، نبيل، **الدلالة اللغوية لكلمة تعظيم**، (بحث مقدم لجامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى، (المؤتمر الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم، المنعقد في الخرطوم، بتاريخ: ١٤/٥/١٤٤١هـ)، ص١٤.

التعريف الإجرائي لعنوان البحث: تعظيم القرآن الكريم هو تفخيمه ورفع شأنه وقدره وجلالته؛ واستشعار أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ حتى يعظُم قدره في النفوس، وترتفع مكانته في القلوب، وتغشى جلالته الأبصار، وتخشع له الجباه، وتهمع له العيون.

ثانياً: التعريف بالشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

اسمه ونسبه: هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي(١).

مولده ووفاته: ولد في عنيزة (بالقصيم) عام: ١٣٠٧هـ، نشأ يتيم الأبوين، فقد ماتت أمه وهو ابن أربع سنوات، وتوفي والده وهو ابن سبع سنوات. وتربى عند زوجة والده التي أحبته كثيراً

وتوفي الشيخ رحمه الله تعالى في: ٢٣جمادى الآخرة، سنة: ١٣٧٦هـ، عن تسع وستين عاماً قضاها في العلم والتعليم والدعوة والتأليف والتوجيه والإرشاد، وخلف ثلاثة أبناء هم: عبد الله ومحمد وأحمد.

نشأته: نشأ الشيخ نشأة صالحة، واشتهر منذ حداثته بفطنته، وذكائه، ورغبته الشديدة في طلب العلم وتحصيله، فحفظ القرآن عن ظهر قلب وعمره أحد عشر سنة ثم اشتغل بالعلم على يد علماء بلده، فاجتهد في طلب العلم، وجَدّ فيه، وسهر الليالي، وواصل الأيام؛ حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة؛ جلس للتدريس فكان يَتَعلَّم ويُعلِّم.

ثناء العلماء عليه: مما يدل على مكانة السعدي ما قيل عنه من أهل العلم ممن وقفوا على سيرته ونهلوا من علمه وقرأوا مصنفاته، ومن تلك الأقوال، وقول الشيخ عبد الرزاق

(١) آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، (دار اليمامة، ط٢، ١٣٩٤هـ)، ص٣٩٢.

عفيفي: "فمن العلماء في هذا العصر كثير، ولكن قلّ منهم من يستقي الحكم من منبعه، ويسنده إلى أصله ويتبع القول العمل، ويتحرى الصواب في كل ما يأتي ويذر، وإن من ذلك القليل فيما أعتقد الشيخ الجليل عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله"(١)، وقول العلامة ابن باز: "كان رحمه الله كثير الفقه، والعناية بمعرفة الراجح من المسائل الخلافية بالدليل، وكان عظيم العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وكان يرجح ما قام عليه الدليل، وكان قليل الكلام إلا فيما يترتب عليه فائدة، جالسته غير مرة في مكة والرياض، وكان كلامه قليلاً إلا في مسائل العلم، وكان متواضعاً حسن الخلق، ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل، فرحمه الله رحمة واسعة"(٢).

شيوخه: تتلمذ الشيخ على يد كثير من العلماء وأخذ منهم علوماً شتى في النحو والفقه والأصول والحديث وعلومه، والتفسير وعلوم القرآن، ومنهم:

١. صالح بن عثمان القاضي.

٢. محمد بن عبد العزيز بن مانع.

٣. محمد بن عبد الكريم الشبل(٣).

تلاميذه: استفاد من علمه كثير من طلبة العلم، وأصبح منهم علماء كباراً يشار إليهم بالبنان، ومنهم:

١. سليمان بن محمد الشبل.

٢. عبد العزيز بن سبيل.

٣. عبد العزيز بن محمد السلمان.

٤. عبد الله بن عبد الرحمن البسام

(١) عويضة، محمد نصر الدين محمد، **صفحات فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب**، (المكتبة الشاملة، ١٤٣٢هـ)، ص١٢٢٤.

(٢) الطيار، عبد الله بن محمد، **صفحات من حياة علامة القصيم**، (دار ابن الجوزي، ١٤١٢هـ)، ص٩٧.

(٣) ينظر: آل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ص٣٩٢.

٥. عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل.

٦. محمد بن صالح العثيمين[١].

مؤلفاته: للشيخ السعدي رحمه الله مؤلفات كثيرة، وسوف نذكر مؤلفاته في المتعلقة بالقرآن الكريم، وأهمها:

١. تفسير أسماء الله الحسنى.

٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

٣. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

٤. فوائد قرآنية.

٥. فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام.

٦. القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٧. المواهب الربانية من الآيات القرآنية[٢].

ثالثاً: نبذة مختصرة عن كتاب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:

يعتبر تفسير تيسير الكريم الرحمن من أهم التفاسير العصرية التي تعرضت لتفسير القرآن الكريم، واعتنت بعقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أثنى عليه كثير من العلماء، بل أوصى به غير واحد منهم؛ وذلك لسهولة بيانه، وجاذبية عرضه. وخلوه من الانحرافات العقدية، ولكثرة فوائده واستنباطاته، وقد افتتحه بمقدمة وضح فيها منهجه في التفسير فقال: "أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما منَّ به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوفَ الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم"[٣].

---

(١) للاستزادة ينظر: آل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ص٣٩٣.

(٢) يراجع: الزركلي، خير الدين محمود، **الأعلام**، (بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م)، ج٣، ص٣٤٠، وآل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ص٣٩٤ - ٣٩٦.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م)، ص٣.

المبحث الأول: حقيقة التعظيم للقرآن، ومقاييسه، وأهميته، وأثره عند الشيخ السعدي:

المطلب الأول: حقيقة تعظيم القرآن الكريم:

إن تعظيم القرآن الكريم من أهم العبادات القلبية؛ لأنه كلام رب العالمين، الذي أمرنا الله بتدبره والاتعاظ به والتزود منه، كما أمرنا بتوقير حامله، وقص علينا قصصه وأحكامه وأمثاله، وبين لنا خصائصه وأوصافه، لنعظمه حق التعظيم، ونتدبره حق التدبر. وقد عظمه الله جل وعلا ورفع مكانته فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[الزخرف: ٤]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "أي: إن هذا الكتاب لدينا في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها.. عَلِيٌّ في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان"(١).

وقد أجمع المسلمون على وجوب تعظيمه وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفاً مما أُجمع عليه، أو زاد حرفا لم يقرأ به أحد، وهو عالم بذلك فهو كافر. قال القاضي عياض رحمه الله: "اعلم أن من استخف بالقرآن، أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحد حرفا منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته وهو عالم بذلك أو يشك في شيء من ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين"(٢).

وحقيقة تعظيم القرآن الكريم وتبجيله وتوقيره في النفوس تتمثل بالآتي:

١ – استشعار عظمة القرآن وعظمة ذي الجلال والكمال: قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الواقعة: ٧٧

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٧٦٢.

(٢) اليحصبي، القاضي عياض بن موسى، بتعريف حقوق المصطفى، وبحاشيته مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، لأحمد بن محمد بن محمد الشمني، (بيروت، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م)، ج٢، ص٣٠٤.

- ٨٠] أي: إن هذا القرآن كريم، "بتوجيهاته، ليس بقول كاهن ولا مجنون، ولم يفتره ساحر ولا كاهن، ولم يتقوله على الله أحد، وما هو بأساطير الأولين، وهو لعظمته وفضله وشرفه؛ حفظه الله عن أيدي العابثين في كتاب في كتاب مصون، لا تصل إليه إلا أيدي الملائكة المطهرين، لأنه؛ تنزيل رب العالمين، الذي يربي عباده بنعمه الدينية والدنيوية، ومن أجَلَّ تربية ربى بها عباده، إنزاله هذا القرآن، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحمة لا يقدرون لها شكوراً[1]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]، فالذي أنزل القرآن هو: "فاطر الأرض والسماوات، المربي جميع العالم، العلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم وأبدانهم، فإنه يربيهم أيضا، بهدايتهم لمصالح دينهم وأخراهم، ومن أعظم ما رباهم به، إنزال هذا الكتاب الكريم، الذي اشتمل على الخير الكثير، والبر الغزير، وفيه من الهداية، لمصالح الدارين، والأخلاق الفاضلة، ما ليس في غيره، وفي قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ ومن تعظيمه وشدة الاهتمام به، بين الله لنا أنه نزل منه، لا من غيره، مقصوداً فيه نفع الناس وهدايتهم[2]. وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١، ٢٢]، فهو قرآن كريم، وسيع المعاني، عظيم الشأن، كثير النفع، غزير العلم، محفوظ من التغيير والتحريف والتبديل، "وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى"[3].

٢ – التأثر والخشوع عند تلاوته: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر: ٢٣]. قال الشيخ السعدي رحمه الله: "ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثَّر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلهذا

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٨٣٦.
(٢) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٥٩٧، بتصرف.
(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٩١٨.

قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكره الله من تأثير القرآن فيهم؛ ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم، ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بسبب ذلك ﴿بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده. ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: القرآن الذي وصفناه لكم. ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ الذي لا طريق يوصل إلى الله إلا منه ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن حسن قصده، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾[المائدة:١٦]"[(١)].

وما تضمنته هذه الآية من ألفاظ: (مثاني، يقشعر، ويخشون، وتلين، جلودهم، وقلوبهم، وهدى) لهي أكبر دلالة على عظمة القرآن، وفعله في القلوب والجلود، من القشعريرة والخشية واللين، والهدى، فنسأل الله الهداية.

٣ – تعاهد القرآن الكريم وتلاوته حق تلاوته: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[البقرة: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾[العنكبوت: ٤٥] فقد أمر تعالى عباده بتلاوة هذا الكتاب العظيم حق تلاوته، وتدبره حق التدبر والانتفاع بما فيه حق الانتفاع؛ "ومعنى تلاوته: اتباعه بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخلة في تلاوة الكتاب"[(٢)].

(١) **المرجع نفسه**، ص٧٢٢.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٦٣٢.

وقال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ»(١). فيجب على المسلم العيش مع هذا القرآن، والتلذذ بمخاطبة رب العزة سبحانه بكلامه العظيم، وعدم هجرانه وتركه والميل عنه إلى غيره؛ كي لا يكون ممن يشهد عليهم نبي الله ﷺ يوم القيامة بأنه من المفرطين الهاجرين للقرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان: ٣٠]، أي: "قد أعرضوا عنه وهجروه وتركوه مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه"(٢).

٤ – التطهر والنظافة: يقصد بالتطهر والنظافة عند قراءة القرآن الكريم: طهارة البدن، والمكان واللباس، وطهارة الفم، وأعظم من هذا كلِّه؛ طهارة القلب من الشبهات والشهوات، ونقاؤه من الشرك والريب والشك، ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٨ – ٧٩]، "أي: لا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام، الذين طهرهم الله تعالى من الآفات، والذنوب والعيوب، وإذا كان لا يمسه إلا المطهرون، وأن أهل الخبث والشياطين، لا استطاعة لهم، ولا يدان إلى مسه، دلَّت الآية بتنبيهها على أنه لا يجوز أن

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، باب استذكار القرآن وتعاهده، حديث رقم: (٥٠٣١)، ج٦، ص١٩٣، القشيري، **صحيح مسلم**، باب فضائل القرآن وما يتعلق به، حديث رقم: (٧٨٩)، ج١، ص٥٤٣.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٩١٨.

يمس القرآن إلا طاهر، كما ورد بذلك الحديث[١]، ولهذا قيل أن الآية خبر بمعنى النهي أي: لا يمس القرآن إلا طاهر[٢].

المطلب الثاني: مقاييس تعظيم القرآن الكريم:

نقصد بالمقاييس: المؤشرات والمعايير والعلامات المنضبطة التي يمكن بها قياس الشيء، تقول: "قاسه بغيره وعليه، يقيسه قيساً وقياساً، واقتاسه: قدره على مثاله فانقاس. والمقدار: مقياس، وقاسه: قدره"[٣]، "ومقياس الحرارة: جهاز ترمومتر لبيان درجة الحرارة، وتقاس بالمتر المئوي"[٤]. "والمقياس: ما تقاس به الكميات والأحجام"[٥]. "ومقياس البصر: آلة لتقدير درجة تيه البصر"[٦].

وعليه فمقاييس تعظيم القرآن: هي المؤشرات والمعايير والعلامات المنضبطة التي بواسطتها نقيس مقدار تعظيم المسلم للقرآن الكريم، وتقديره له، وتبجيله إياه. إن تعظيم القرآن الكريم لا يكون ادعاء، ولا اعترافاً باللسان فحسب؛ فهذا يجيده كل أحد، ويدعيه كل إنسان، ويردده كل المسلمين، الطائع منهم والعاصي، التالي منهم للقرآن والهاجر له، المطبق

(١) الطبراني، أبو بكر سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية)، قوله ﷺ: (لا يمس القرآن إلا طاهر)، رواه عن ابن عمر، حديث رقم (١٣٢١٧)، ج١٢، ص٣١٤، وهو صحيح، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، (بيروت، المكتب الإسلامي)، حديث رقم: (٧٧٨٠)، ج٢، ص١٢٨٤.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٨٣٦.

(٣) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥م)، ص٧٣٣.

(٤) مصطفى، إبراهيم، الزيات، أحمد، عبد القادر، حامد، النجار، محمد، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (دار الدعوة)، ص٨٥.

(٥) دوزي، رينهارت بيتر آن، **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سليم النعيمي، (بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩إلى ٢٠٠٠م)، ج٨، ص٤٣٤.

(٦) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، بمساعدة فريق عمل، (الكويت، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ج٣، ص١٨٨٤.

لأحكامه والمتمرد عليها. مع أن كل ادعاء لا بد له من حقائق تؤيده، وبراهين تثبته، ومؤشرات تدل عليه، ومقاييس تقيسه.

وفي هذا المطلب سنتكلم عن بعض هذه المقاييس التي بها نستطيع قياس مقدار تعظيمنا كتاب الله تعالى، ومنها:

١ – الإيمان الجازم بأن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى المفصِّل الشامل للهداية وكل مطالب الحياة السعيد: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ٥٢]، قال الشيخ السعدي: "(جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ) أي: بينا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق (عَلَى عِلْمٍ) من الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور، فتجهله بعض الأحوال، فيحكم حكما غير مناسب، بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء. (هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي: تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال، وبيان الحق والباطل، والغيّ والرشد، ويحصل أيضا لهم به الرحمة، وهي: الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فينتفى عنهم بذلك الضلال والشقاء"(١).

وإذا كان هذا هو شأن القرآن، وكانت هذه آثاره الجليلة فينبغي تعظيمه ومحبته والذود عنه، واتخاذه منهجاً للحياة، وطريقاً للسعادة في الدارين.

٢ – الإيمان بأن القرآن الكريم وحي من الله تعالى: ومن المؤشرات أن يعتقد المسلم أن القرآن وحي الله على محمد ﷺ، لم يكن لمحمد ﷺ أن يفتريه على ربه، ولم يعلمه بشر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[الحاقة: ٤٤–٤٦]، فلو كان القرآن كلاماً مفترى على الله لعوقب من افتراه عقاباً شديداً، بل عقاباً لن يعاقب به أحدٌ

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٢٩١.

مثله، "وقد دلَّت آيات من كتاب اللَّه أن العذاب يعظم بسبب عظم الإنسان المخالف؛ كقوله تعالى في نبيّنا ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[الإسراء:٧٤، ٧٥]، وقوله تعالى في أزواجه ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[الأحزاب:٣٠]"[(١)]. قال الشيخ السعدي رحمه الله: "فلو نظروا في حال محمد ﷺ، ورمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمراً مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقاً، وأن ما جاء به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول البشر، بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوه فوق عباده، وأيضا، فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته، فإنه لو تقول عليه وافترى ﴿بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ الكاذبة، فلو قدر أن الرسول – حاشا وكلا – تقول على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل شيء قدير، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك. فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته"[(٢)].

٣ – الإيمان بأن القرآن الكريم لا نقص فيه ولا عيب ولا خلل: وهذا مؤشر عظيم للتفريق بين المؤمن والكافر، وبين المعتقد بصحة القرآن والجاحد، وبين طائفة المسلمين وغيرهم من أهل الأهواء والضلال؛ الذين يعتقدون تحريف القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩]، فقد "بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن العظيم، وأنه حافظ له من أن يزاد فيه أو ينقص، أو يتغير منه شيء أو يبدل"[(٣)]. فقد

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م)، ج٦، ص١٤٧.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٨٨٤.

(٣) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج١٦، ص٨.

حفظه الله "في حال إنزاله، وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظه من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم"(١).

٤ – تدبر آياته، وتفهم معانيه، ودوام الصلة به: إن من أهم المؤشرات لقياس عظمة القرآن الكريم في قلب المؤمن هو: تدبر القرآن وتفهم معانيه، والصلة الدائمة به، والخروج من تلاوته بأكبر قدر من الفائدة والعظة والعبرة. إذ إن "الاستفادة الحقة من هذا الكتاب الكريم تكون بدوام الصلة به علماً وعملاً، تلاوة وتدبراً، وفهماً"(٢)، وكلما ازداد العبد تدبراً لكتاب الله ازداد بصيرة ويقيناً، وللقرآن تعظيماً وتكريماً، لذلك أمر الله بتدبره وحث عليه، وبين لنا أن المقصد الحقيقي والعملي من إنزال القرآن الكريم هو التدبر، والتخلق بما فيه؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص: ٢٩]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود"(٣). فإذا تحقق المسلم بخلق التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم؛ يكون بهذا قد حقق مقصداً مهماً ومن المقاصد التي تؤدي إلى تعظيم القرآن الكريم، عملاً لا قولاً، ويقيناً لا ظناً.

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤٢٩.
(٢) **المرجع نفسه**، ص١٣.
(٣) **المرجع نفسه**، ص٧١٢.

٥ – التسليم والاستسلام لما جاء فيه والرجوع إليه: إن من أعظم المؤشرات والموازين التي يوزن بها إيمان المسلم وتعظيمه لكتاب الله تعالى؛ هو: التسليم له، والاستسلام لما جاء فيه، والرجوع إليه في كل شيء؛ وبذلك نستطيع التعرف على المكانة التي يحتلها القرآن في قلب صاحبه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليمًا بانشراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن. فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين"(١).

٥ – الحرص على هداية الناس به: إنَّ أفضل علم يبثه المرء وينشره؛ كتاب الله تعالى، تحفيظاً وتجويداً وتفسيراً وتفقيهاً وتعليماً، وهو من المؤشرات الكبرى لقياس تعظيم المسلم للقرآن الكريم؛ فعلى قدر حرصه على تعليمه ونشره وهداية الناس به، والدعوة إلى التمسك به والاعتصام بحله؛ يكون مقدار تعظيمه لكتاب ربه في قلبه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢]، فهذه الآية تبين أنه يجب على "من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له. وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل اللّه بالحكمة

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٨٤.

والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه اللّه علما ومنحه فهما"(١). وتأتي في قمة هرم الدعوة إلى الله تعالى؛ الدعوة إلى كتاب الله ونشره وترسيخه في الأمة؛ قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢).

٧ – الانصات عند سماع القرآن: ومن المؤشرات العملية لتعظيم القرآن الكريم؛ الاستماع والانصات للقرآن الكريم، وتدبره عند تلاوته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب اللّه يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات: أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له: فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب اللّه، فإنه ينال خيرا ً كثيراً، وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجددًا، وهدى متزايدًا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب اللّه حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير"(٣).

المطلب الثالث: أهمية غرس تعظيم القرآن الكريم:

غرس قيمة تعظيم القرآن الكريم في النفوس؛ تمر بثلاث مراحل: "الغرس المعرفي والوجداني والسلوكي، فالمعرفي يعني حشد المعلومات المعرفية حول فضل القرآن الكريم، وتعريف الناس بعظمته، وعظمة من أنزله، ومن أُنزِل عليه. أما مرحلة الغرس الوجداني؛ فتعني تعظيم القرآن

(١) **المرجع نفسه**، ص٣٥٥.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: (٥٠٢٧)، ج٦، ص١٩٢.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٣١٤.

الكريم وما فيه في أحاسيس الناس، ومشاعرهم، ووجدانهم، مما يستدعيهم إلى عدم التفكير بشيء إلا بعد عرضه على كتاب الله تعالى، فيكون القرآن الكريم حاكماً لمشاعرهم وأحاسيسهم وتفكيرهم، ومالكاً لها ومسيطراً عليها. وأما المرحلة الثالثة؛ فتعني جعل القرآن الكريم حاكماً لسلوك المسلم، ومسيطراً عليه؛ كما كان حاكما لأحاسيسه ومشاعره، ومسيطراً عليها"(١). **وتنبع أهمية غرس تعظيم القرآن الكريم في قلوب المسلمين بمراحله الثلاثة في الآتي:**

١ – القرآن الكريم مصدر العزة والتمكين: إنَّ أهمية غرس قيم تعظيم القرآن الكريم تكمن في أنه مصدر عزة الأمة ورفع شأنها ومكانتها بين الأمم، قال ﷺ: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله"(٢). فالقرآن هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من اعتصم به عصمه، ومن تمسك به نجا، ومن استشفى به شفي. فيه عزة الأمة وسعادتها، وبه نجاتها وحل مشكلاتها. وإن أرادت العزة والتمكين فعليها بالرجوع إليه، والتربية عليه، والتمسك بحبله، والاعتصام به. ولهذا كله وجب على الدعاة والمربين تربة المجتمعات المسلمة على حبه، وغرس عظمته في قلوبهم، كي يسعدوا ويهنؤوا ويسودوا.

٢ – إن تعظيم القرآن الكريم هو الشفاء للنفوس: فالباطل "له صولة وروجان إذا لم يقابله الحق، فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك. ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيناته"(٣) قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨١-٨٢]، ولعلنا نستشف من نظم الآية القرآنية، أن القرآن الكريم هو

(١) للاستزادة ينظر: السندي، سليمان بن عمر، **غرس قيمة تعظيم الله وأثره في الانتفاع بهدايات القرآن**، (بحث مقدم في المؤتمر القرآني الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم، لجامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى، الخرطوم، بتاريخ: ٢٠/١/١٤٤١هـ)، ص٩.

(٢) القشيري، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم: (١٢١٨)، ج٢، ص٨٩٠.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤٦٤.

الشفاء للمجتمع الذي يتعارك مع الباطل، ويتصارع وإياه. فلا إزهاق للباطل وإحقاق للحق؛ إلاَّ تحت راية القرآن الكريم، "فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة. فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها. وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل"[1].

٣ – تهيئة النفوس لتقبل أحكام القرآن الكريم: إن غرس قيم تعظيم القرآن الكريم في القلوب يهيئ الناس لتقبل ما فيه تعبداً لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[النور: ٥١]، "فحقيقة، الذين صدَّقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فقد حصر الفلاح فيهم، لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكَّم اللهَ ورسولَه، وأطاعهما[2]. ولن يتحقق هذا الاستسلام وذلك التسليم للأحكام التي قد تخالف رغبات النفوس؛ ما لم يكن هناك تهيئة مسبقة، وما لم تكن هناك تربية مستفيضة على قيم القرآن، ومبادئه، وأخلاقه، وفضائله. إن غرس تعظيم القرآن الكريم يحدث في القلب توطئة مهمة لتقبل أحكامه لأن هذه القيم تعمل على تفريغ القلب وتخليته من شوائب الأهواء،

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤٦٥.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٥٧٢.

وأمراض القلوب، كما تعمل على ملء القلب بما يحبه الله تعالى من أمور الخير والبر والإحسان.

المطلب الرابع: أثر تعظيم القرآن الكريم عند الشيخ السعدي في كتابه تيسير الكريم الرحمن:

لا شك أن تعظيم القرآن الكريم وإجلاله واستشعار أنه كلام الله تعالى له آثار كثيرة يجنيها الفرد المسلم والمجتمع المسلم ومن هذه:

١ – طمأنينة القلب وانشرح الصدر: السكينة والطمأنينة التي يجدها المسلم عند تلاوته لكتاب الله كما أمر الله تعالى؛ أثر من آثار تعظيم القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[الزمر: ٢٣]، فهذه الآية تبين مقدار الأثر الذي يحدثه تعظيم القرآن الكريم، إنه أثر يجعل جلود الأتقياء تقشعر منه "لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، وتلين تلك القلوب: لما فيه من آيات الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر"(١). فتقشعر الجلود أولاً من هول ما تسمع من التخويف، ثم تهدأ النفوس وتطمئن القلوب مما تسمع من الترغيب، فتلين جلودهم بعد القشعريرة، وتطمئن القلوب بعد الذعر، وما ذلك إلا حين يتفضل عليها ربها بالهداية والاستجابة: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، فيزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها. وتطمئن بذكر ربها، وحريٌّ بها ألا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من طمأنينة القلوب حين تعرف معاني القرآن وأحكامه، وبذلك تطمئن القلوب وترتاح وتسكن وتهدأ(٢).

(١) **المرجع نفسه**، ص٧٢٢.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤١٧، بتصرف.

٢ – الاستسلام لأوامر الله ونواهيه: ومن أهم آثار تعظيم القرآن الكريم أن يستسلم المسلم لأوامر ربه، وأحكامه، ويطيعها طاعة مطلقة، بدون تردد ولا تلكؤ؛ ويعرف أن الخير والمصلحة في تنفيذها، وإن غاب عنه حكمتها، وهذا الاستسلام لا يمتلكه صاحب القلب الغافل، الذي لا يعظم للقرآن؛ فهذا الغافل تراه يتحايل على الأحكام، ويتأرجح في التنفيذ، أما المعظم لكتاب ربه؛ فهو المبادر أولاً، والسباق دائما، والمنفذ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب: ٣٦]، إنه الاستسلام التام، والرضا الكامل، استسلام بلا شروط، ورضا بلا حدود.

٣ – التطلع لفهم القرآن الكريم: لا يكتفي المسلم بتلاوة القرآن فحسب، بل يدفعه تعظيمه للقرآن أن يتفهم معانيه، ويدعوه لقراءته القرآن قراءة واعية متدبرة، ليتحقق فيه أثره، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤]، ذلك أن "تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير، وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته.. وكلما ازداد العبد تأملا فيه؛ ازداد علماً وعملاً وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه، وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن الكريم[(١)].

٤ – التخلق بأخلاق القرآن الكريم: وكما يدفع تعظيم القرآن المسلم لتلاوته قولاً، وتدبره فكراً؛ فإنه يدفعه إلى التخلق به سلوكاً وتطبيقاً، ولهذا كان من أشمل صفات النبي ﷺ أنه كان قرآناً يمشي بين الناس، أي: يطبق القرآن وتعاليمه وأحكامه، ويلتزم آدابه، ويأتمر بأوامره؛ حتى إن من يراه يرى القرآن في محياه، وعلى سلوكه، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: " كان خلقه القرآن"[(٢)]. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، فقد

(١) **المرجع نفسه**، ص١٨٩.

(٢) ينظر: القشيري **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، حديث رقم: (٧٤٦)، ج١، ص٥١٢.

كان ﷺ: "في الذروة العليا من الأخلاق، فكان سهلاً ليناً، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ[1]. وهكذا يدفع القرآن أهله للتأسي بنبيهم محمد ﷺ والاقتداء به.

٥ – الاعتزاز بقيم القرآن: إن من الآثار التي يغرسها تعظيم القرآن في قلوب محبيه؛ الاعتزاز والافتخار بالتمسك بقيمه ومبادئه، ذلك أن هذه القيم مستمدة من الله تعالى، فهي الخير كله، والفلاح كله، والسؤدد كله. فالتمسك بها فخر، والالتزام بها عز، والتحلي بها سؤدد، قال تعالى: ﴿مَنكَانَيُرِيدُٱلۡعِزَّةَفَلِلَّهِٱلۡعِزَّةُجَمِيعًا﴾[فاطر:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦوَلِلۡمُؤۡمِنِينَوَلَٰكِنَّٱلۡمُنَٰفِقِينَلَايَعۡلَمُونَ﴾[المنافقون:٨].

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٨٧٨.

المبحث الثاني: جوانب تعظيم القرآن الكريم عند الشيخ السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن)

المطلب الأول: تعظيم الله تعالى كتابه من خلال الأمر تدبره:

عظَّم الله تعالى كتابه في القلوب، وغرس فضائله في النفوس؛ بعدة أمور ووسائل ومن ذلك ما يأتي:

١ – الندب إلى تدبر القرآن من خلال أسلوب الاستفهام: لقد ندب الله عباده للتفكر والتدبر في القرآن الكريم، وحذر من تلاوته بدون ذلك؛ بطريق الاستفهام؛ فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢]، فالتدبر للقرآن الكريم سبب كل خير ونفع يعود على الفرد المتدبر في ذاته، وعلى الأمة المسلمة جمعاء، وهو مفتاح العلم والمعرفة، وأساس الإيمان وسبب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ووسيلة من وسائل تعظيم القرآن الكريم. "والتدبر في القرآن يعني: التأمل في دلالة جمله البلاغية على أنه من عند الله، والتأمل في دلالة تفاصيله على مقاصده الكلية التي أرشد إليها المسلمين[(١)]، يقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات. قال ابن عباس: "أفلا يتدبرون القرآن" فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي[(٢)]. قال الشيخ السعدي رحمه الله: "يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ج٥، ص١٣٧.

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، التفسير البسيط، تحقيق: مجموعة من المحققين، (الناشر: عمادة البحث العلمي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ)، ج٦، ص٦٣٠.

بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه. ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب. وكلما ازداد العبد تأملا فيه؛ ازداد علماً وعملاً وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤]. ومن أساليب الاستفهام التي تحث على التدبر والتفكر في القرآن الكريم؛ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون: ٦٨]، ففي الآية حث على التفكر والتدبر والتأمل ليتخلصوا من الكفر وتبعية الآباء والأجداد، وليفيقوا من الغفلة والشرود، ولينقذوا أنفسهم قبل أن يحل بهم العذاب، ويقع عليهم العقاب، "فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان ولمنعهم من الكفر ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه ودل هذا على أن تدبر القرآن يدعو إلى كل خير ويعصم من كل شر والذي منعهم من تدبره أن على قلوبهم أقفالها. ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ أي: أو منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب ما جاء آباءهم الأولين فرضوا بسلوك طريق آبائهم الضالين وعارضوا كل ما خالف ذلك، ولهذا قالوا هم ومن أشبههم من الكفار ما أخبر الله عنهم"(١).

٢ – بيان أن علة إنزال القرآن هي التدبر: بين الله تعالى لعباده أنه أنزل لهم القرآن الكريم وبارك فيه وبما فيه ليتدبروه ويعملوا بما فيه فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩]، فالمسلم الذي يقرأ القرآن بلا تدبر ولا روية كالمذياع الذي يُقرأ فيه القرآن ولا يعقل ما فيه! إن المقصد الأساس من إنزال القرآن إنما هو الاتعاظ بما فيه، والتطبيق لما ورد فيه من أحكام، واستخراج ما به من حكم، قال الشيخ السعدي

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٥٥٤.

رحمه الله: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب[1]. إن تدبر القرآن الكريم يوصل العبد إلى درجة اليقين، ويعرفه بأن القرآن كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحكم والقصة والاختبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾، أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً[2].

٣ – التعريض بمن أنكر كتاب الله المبارك: قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[الأنبياء: ٥٠]، قال الشيخ السعدي مبينًا مدلول هذه الآية الكاشفة عن عظمة هذا الكتاب الكريم وبعض أوصافه: " (وَهَذَا) أي: القرآن (ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزلْنَاهُ) فوصفه بوصفين جليلين، كونه ذكرًا يتذكر به جميع المطالب، من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم، ومن أحكام الشرع من العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار، فيتذكر به المسائل والدلائل العقلية والنقلية، وسماه ذكرًا؛ لأنه يذكر ما ركزه الله في العقول والفطر، من التصديق بالأخبار الصادقة، والأمر بالحسن عقلا

(١) ينظر: **المرجع نفسه**، ص٧١٢.

(٢) ينظر: **المرجع نفسه**، ص١٨٩.

والنهي عن القبيح عقلاً، وكونه (مباركا) يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية، أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكرًا مباركًا، وجب تلقيه بالقبول والانقياد، والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلم ألفاظه ومعانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة، من الإعراض عنه، والإضراب عنه، صفحًا وإنكاره، وعدم الإيمان به فهذا من أعظم الكفر وأشد الجهل والظلم، ولهذا أنكر تعالى على من أنكره فقال: {أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)"[(١)]، وما أجمل استنباط الشيخ وفهمه لوظيفة القرآن الكريم ومقاصده العالية.

٤ – توضيح المنتفع الحقيقي من القرآن: ولحمل المسلم على التدبر والانتفاع من القرآن الكريم؛ فقد بين سبحانه وتعالى صفات المتدبرين وغيرهم؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[يوسف: ٢]، "فما أنزله بهذا اللسان إلا لنعقله ونتفهمه، ونتدبره، ونتفكر فيه، ونستنبط علومه. لأن تدبره مفتاح كل خير، محصل للعلوم والأسرار. فلله الحمد والشكر والثناء، الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونورا، وتبصرة وتذكرة، وبركة، وهدى وبشرى للمسلمين. فإذا علم هذا، علم افتقار كل مكلف لمعرفة معانيه والاهتداء بها. وكان حقيقاً بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك[(٢)].

٥ – التشنيع الصريح على الذين لا يتدبرون آيات الله: ومن أساليب الحث على تدبر القرآن الكريم والانتفاع بآياته؛ أن الله تعالى ذكر عقوبة من يتكبر عن آيات الله ولا يتفهم معانيها، وبين أنه سيحرمه بركة ما معه؛ فقال: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف:

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٥٢٥.

(٢) ينظر: **المرجع نفسه**، ص٢٩.

١٤٦]، فبسبب غفلتهم وتكبرهم وغرورهم؛ صرفهم الله عن الخير والانتفاع، وصرفه عنهم، صرفهم "عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية، والفهم لآيات الكتاب؛ لأنهم تكبروا على عباد اللّه وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة، حرمه اللّه خيرًا كثيرًا وخذله، ولم يفقه من آيات اللّه ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح[(١)]، وقال سفيان ابن عيينة: "أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي"[(٢)].

٦ – الإقبال على القرآن بقلبه وعقله وجوارحه: ومن الأمر بتدبره؛ الاستماع له والانصات لآياته والتركيز فيها أثناء التلاوة؛ ليتحقق لمستمعه الفلاح والخير، ولتحل عليه البركة، وتنزل به الرحمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤]، "وألفاظ الآية على الجملة تتضمَّن تعظيم القُرْآن وتوقيرَهُ، وذلك واجبٌ في كل حالة، والإنصاتُ: السكوتُ"[(٣)]، وبدأ الآية بالأمر بالاستماع قبل تبدأ بالأمر بالإنصات، لأن الاستماع يعني: تفريغ القلب من جميع الشواغل التي تشغل عن فهم القرآن.

المطلب الثاني: تعظيم القرآن الكريم ببيان أوصافه وخصائصه:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف كثيرة، وسماه بأسماء عديدة، فيها من التعظيم والتشريف ما فيها، ومن المعلوم أن "كثرة الأسماء والأوصاف تدل على شرف المسمى والموصوف وعلو منزلته ومكانته، ولهذا اتخذ الله لنفسه تسعاً وتسعين اسماً، لبيان عظيم جلاله، وسعة أوصافه،

(١) **المرجع نفسه**، ص٣٠٢.

(٢) الطبري محمد بن جرير بن يزيد، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ج١٣، ص١١٢.

(٣) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ)، ج٣، ص١٠٩.

فله الأسماء الحسنى، والصفات المثلى، من أحصاها متخلقاً بمدلولاتها دخل الجنة، قال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة»(١).

ولقد تعددت أسماء القرآن الكريم وأوصافه في القرآن، وكل صفة أو اسم للقرآن فهو يعطي معنى من تلك المعاني الرائعة التي انفرد بها القرآن عن سائر الكتب السماوية، وتحمل في طياتها عظمة قائلها ومنزّلها سبحانه وتعالى(٢)، ومن هذه الأسماء والأوصاف التي تدل على عظمة القرآن ومكانته ومنزلته:

القرآن: لفظ القرآن أشهر وأعظم ما سمي به كلام الله تعالى، ولم يسمَ به كتابٌ آخر، إذ أخبر الله عن شرف هذا الكتاب وجلالته فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩]، "فهو كتاب الهداية الأول، فهو يهدي للتي هي "أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"(٣).

الفرقان: أي: "الفارق بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السعادة من أهل الشقاوة"(٤)، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[آل عمران: ٣ – ٤]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١]، ففي هذه الآيات إخبار من الله تعالى أن من فضله ورحمته إنزال كتابه

(١) متفق عليه؛ البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدًا، حديث رقم: (٩٣٩٢)، ج٩، ص١١٨، القشيري، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها، حديث رقم: (٢٦٧٧)، ج٤، ص٢٠٦٣.

(٢) ينظر: السخاوي، علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد، **جمال القراء وكمال الإقراء**، تحقيق: عبد الحق عبد الدائم سيف القاضي، (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م)، ج١، ص١٦١.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤٥٤.

(٤) **المرجع نفسه**، ص٥٧٧.

العظيم، على عبده محمد ﷺ، "ليستنقذهم به من الجهالات، وفرق به بين الحق والباطل، والسعادة والشقاوة، والصراط المستقيم، وطرق الجحيم، فالذين آمنوا به واهتدوا، حصل لهم به الخير الكثير، والثواب العاجل والآجل"(١).

البرهان: أي: الحجة الواضحة والعلامة البينة، وصف الله به القرآن الكريم لاحتوائه على الحجج القاطعة، والأدلة الساطعة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾[النساء:١٧٤]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "يمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة، والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، أي: حجج قاطعة على الحق، تبينه وتوضحه، وتبين ضده. وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية، ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾[فصلت:٥٣]"(٢).

النور: القرآن الكريم نور ساطع، يجلي حقائق الأشياء، ويبين مفترق الطريق بين الحق والباطل، "وهذا هو القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره"(٣). فمن أراد الهدى، فعليه أن يقتبس من هذا النور ما يكفيه للسير في طريق الشر المظلم، ليوفقه الله في سلوكه، ويهديه في طريقه، ومن لم يؤمن بالله ويعتصم به، ويقتبس من النور ما يكفيه تخبط في الظلمات، وحُرم الخير، وضل ضلالاً مبيناً، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾[النساء:١٧٥].

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٩٦٢.
(٢) **المرجع نفسه**، ص٢١٧.
(٣) **المرجع نفسه**، ص٢١٧.

الكتاب والهدى: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، في هذه الآية إشارة إلى أن القرآن كما أنه مقروء، فهو مكتوب، أي: أنه محفوظ في الصدور، ومحفوظ في السطور، وسيبقى محفوظًا من التغيير والتبديل والتحريف إلى يوم القيامة، والإشارة إليه ب ﴿ذَٰلِكَ﴾، للتعظيم، أي: هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين والمتأخرين من العلم العظيم، والحق المبين. ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾، ولا شك بوجه من الوجوه، ونفي الريب عنه؛ يستلزم ضده، إذ ضد الريب والشك اليقين، فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين، المزيل للشك والريب، وهذه قاعدة مفيدة، أن النفي المقصود به المدح، لا بد أن يكون متضمنا لضده، وهو الكمال، لأن النفي عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه، فلما اشتمل على اليقين، وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين؛ قال: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة...، فهو هدى لجميع مصالح الدارين، ومرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم، في دنياهم وأخراهم"[(١)].

إنه كتاب عزيز سليم من التحريف التبديل: ومن أعظم أوصاف القرآن الكريم وصف الله له، أنه كتاب عزيز، منيع على كل من أراد له التحريف والتغيير، لا يعتريه نقص، وليس فيه خلل، ولا يقربه شيطان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[فصلت:٤١ - ٤٢]، فهو عزيز عديم النظير، عجز عن الإتيان بمثله البشر، وهو عزيز منيع غالب بقوة حجته وأدلته، "لا تكذبه الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل والزبور، ولا يجيء كتاب من بعده يكذبه. ما حكم به بكونه حقاً لا يصير باطلاً، وما حكم بكونه باطلاً لا يصير حقاً"[(٢)]. لأنه: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ﴾، "في خلقه وأمره،

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤٠.

(٢) **المرجع نفسه**، ج٢٧، ص٥٦٨. بتصرف يسير.

يضع كل شيء موضعه، وينزله منزله. ﴿حَمِيدٍ﴾ على ما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وعلى ما له من العدل والإفضال، فلهذا كان كتابه، مشتملا على تمام الحكمة، وعلى تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار، التي يحمد عليها"[1]. ولعظمته ومكانته عند الله تعالى؛ تكفل بحفظه، وضمنه من المساس به بشيء ولو يسيراً، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

الإشارة الدالة على العظمة: ومن جوانب تعظيم الله للقرآن الكريم؛ لفظ الإشارة الدالة على العظمة، قال تعالى: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[النمل:١]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "نبه تعالى عباده على عظمة القرآن ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم، فقال: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي: هي أعلى الآيات، وأقوى البينات، وأوضح الدلالات، وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق، آيات تدل على الأخبار الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان ودعت للوصول إلى الإيقان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، على طبق ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع المعاندين صوناً لها عمَّن لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم...آيات تهديهم إلى سلوك الصراط المستقيم، وتبين لهم ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه، وتبشرهم بثواب الله المرتب على الهداية لهذا الطريق"[2].

(١) **المرجع نفسه**، ص٧٥٠.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٦٠٠.

هذه بعض أسماء وأوصاف القرآن الكريم التي بين الله فيها عظمته، وأمرنا أن نتعامل مع هذا القرآن بالقدر الذي يستحقه، والمكانة التي أعطاه الله غياها، وهناك أسماء وأوصاف كثيرة للقرآن الكريم نسردها بعضها إجمالاً؛ لأن المقام لا يتسع لذكرها كلها، وهي: النبأ العظيم – البلاغ – الروح – الموعظة – الشفاء – الحكيم – الكريم – البشير – النذير – المجيد – الحق – الروح – المبين – المكنون – المحفوظ – البيان – المبارك– الرحمة.

المطلب الثالث: تعظيم القرآن الكريم ببيان قصصه وأمثاله:

من الأمور الدالة على عظمة القرآن الكريم ما فيه من قصص وأمثال، فحينما تقرأ القصة الواحدة في المذكورة متناثرة في ثنايا السور، وتجد كل قصة تكمل الأخرى، فلا تناقض ولا تعارض، مع أن هذا القصص تنزل على النبي محمد ﷺ خلال ثلاث وعشرين عاماً. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يتحدث القرآن الكريم عن قصص لأمم قد انقرضت منذ سنين طويلة، ولم يكن للعرب علم بهم؛ كقصص الغابرين، ويتحدث عنهم القرآن حتى ليكاد السامع يشاهدهم، ويراهم رأي العين. كل هذا ليدل دلالة قاطعة على عظمة القرآن الكريم، ولهذا قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف:١٧٦]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[يوسف:١١١]، وقال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[يوسف:٣]، "فقصص القرآن أحسن القصص على الإطلاق، إذ لا يوجد في غير القرآن من الكتب المنزلة مثل ما في القرآن؛ وذلك لصدقها، وسلاسة عبارتها، ورونق معانيها"(١).

وينبغي أن نشير هنا إلى جوانب العظمة في قصص القرآن الكريم وأمثاله والمتمثلة في:

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٣٩٣.

***احتواؤه على جميع الأمثال الدالة على الخير والعاصمة من الضلال:** إن من أهم الأمور التي تبين عظمة هذا القرآن الكريم؛ أنه اشتمل على جميع الأمثلة التي تحث الناس على الخير، وتبعدهم عن الشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف:٥٤]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن، وجلالته، وعمومه، وأنه صرف فيه من كل مثل، أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادا، وطمأنينة، ونورا، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور"(١).

***القَصص وحي من الله:** ومنها أنها وحي من الله تعالى كسائر آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[هود:٤٩]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[يوسف:١٠٢]. فهذه القصص المبسوطة في القرآن الكريم قصص غيبية لا يعلمها كل أحد، أخبرك بها دون سابق علم، هو الذي علمك ما لم تكن تعلم، وهو الذي أوحى إليك هذا القرآن العظيم، ومن عظمته ما حواه من قصص وأخبار الأمم الغابرين. فهي قصص حقيقية وواقعية، لا مبالغة فيها ولا خيال، بل هي "أحسن القصص على الإطلاق، فلا يوجد من القصص في شيء من الكتب مثل هذا القرآن"(٢). "فاحمد الله واشكره، واصبر على ما أنت عليه، من الدين القويم، والصراط المستقيم، والدعوة

(١) **المرجع نفسه**، ص٤٨٠.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٣٩٣.

إلى الله ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون الشرك وسائر المعاصي، فستكون لك العاقبة على قومك، كما كانت لنوح على قومه"(١).

***الواقعية والمصداقية:** ومن جوانب العظمة في القرآن الكريم "أن كل ما أخبر به من قصص فهو صدق، له واقع مشهود وملموس حين وقوعه، دون أن يكون للخيال أو الوهم أو المبالغة مدخل في شيء أبدًا، بل هو الواقع الكامل كما حصل تمامًا، وبكل أبعاده المشاهدة والمغيبة، فهو من واقع الحياة، نقل في القرآن الكريم نقلا دقيقًا يأخذ بمجامع القلوب، ولا يمكن أن يكون فيه غير الصدق والواقع المطابق له(٢). لأنه واقع بعيد عن الخيال والمبالغة؛ حتى إن أهل الكتاب لم يستطيعوا تكذيبه مع حرصهم على ذلك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[آل عمران: ٦٢]، فمن ذكر قصة مخالفة لذلك فهي باطلة ومكذوبة.

***العبرة والعظة:** سرد القصص في القرآن ليس للتسلية وشغل الوقت، إنَّ كل قصة فيه يخرج منها المسلم بعبرة وعظة، ويتزود منها بدرس حياتي وعملي، ديني ودنيوي، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[يوسف:١١١]، "فليس هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من الأحاديث المفتراة المختلقة، ولكنه تصديق الذي بين يديه من الكتب السابقة، يوافقها ويشهد لها بالصحة، ويفصل كل شيء يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأدلة والبراهين"(٣).

والخلاصة أن من عظمة القرآن الكريم في القصص القرآني، أنه ينتقي الأحداث انتقاء حسب المواقف، فالموقف الذي يحتاج إلى تفصيل يفصل فيه القصة، وفي موقف الإيجاز

(١) **المرجع نفسه**، ص٣٨٢.

(٢) العلوي، محمد خير، **معالم القصة في القرآن**، (عمَّان، دار العدوي، ط١، ١٤٠٨هـ)، ص١١١.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤٠٧.

يوجز، وهو مع التفصيل والإيجاز يفي بالموضوع، ولا ينقص منه قيد أنملة، لأنه كلام العليم الخبير سبحانه وتعالى.

***التناسب والامتزاج بموضوعات السورة:** تتميز القصص والأمثال في القرآن الكريم بأنها تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها بحيث لا يمكن الفصل بينهما وبين غيرهما من موضوعات السورة، ولو حذفت القصة أو المثل من موقعهما الوارد في السورة لاختل المعنى، "لأن القرآن الكريم كله بما فيه القصص القرآني يمثل كلاً واحداً في موضوعاته وأسلوبه ومقاصده"(١)، غاية الأمر أن القصة تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ بصورة قصصية ممتعة، تشد ذهن القارئ، وتؤثر في نفسيته بصورة أقوى من غيرها. وإن هذا التناسب والامتزاج يدلل على عظمة القرآن الكريم، ويثبت صدقه وإعجازه، فحينما تجد القصة الممتزجة مع السياق القرآني ككل لا يتجزأ بل تدعمه وتؤيده. وحينما تجدها مكتملة غير ناقصة ولا نشاز، كل ذلك يثبت عظمة القرآن ويدد أنه وحي من الله تعالى.

***التكرار والتنويع في القصص:** من معالم عظمة القرآن الكريم أنه ينوع القصص والأمثال، ليعمق الإيمان، ويصلح النفوس، ويصقل القلوب، ويهذب الأخلاق، ويصحح العقائد، ويهدي إلى الطريق المستقيم، "حتى إنه يثنِّي الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة، لتستقر في القلوب، فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس"(٢).

المطلب الرابع: تعظيم القرآن الكريم ببيان أحكامه:

(١) دبور، محمد عبد اللاه عبده، **أسس بناء القصة من القرآن الكريم: دراسة أدبية ونقدية**، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ص٢٤.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤٤٦.

بادئ ذي بدء ينبغي على المسلم أن يعلم يقينا أن القرآن الكريم كما أنه كتاب عقائد وهداية وإرشاد وسلوك؛ فهو كتاب أحكام وأصول وقواعد عامة ضابطة لحياة الناس، وموجه لسلوكياتهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩]، ومعنى (تبيانًا) "في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية... فلما كان هذا القرآن تبيانا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون، فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة"[(١)]. فالله جل وعلا "لا يشرع ما يشرعه من الأحكام، إلا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله. فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة. وهذا العلم أعظم وأشهر من أن ينبه عليه لوضوحه"[(٢)]. ولقد جاء القرآن العظيم بأحكام وقواعد كلية ومبادئ عامة ضبط معاملات الناس وعلاقات بعضهم ببعض؛ ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، مسلمين وكافرين، وهذا من عظمة هذا الكتاب العزيز الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢].

وفيما يأتي سنستعرض سريعاً مجالين من مجالات الأحكام وهما: الأسرة، والحدود والجنايات التي جاء بها القرآن العظيم، والتي تدلل على عظمته واحتوائه لكل شيء يحتاج إليه الناس.

(أ) **أحكام الأسرة:** وسأكتفي بمثالين في أحكام الأسرة طلباً للاختصار، وهما:

١ – الأحكام الضابطة لعلاقة الأسرة الواحدة: جاء الإسلام ليوحد لا ليفرق، وليجمع لا ليشتت، وإذا كانت الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع الي جاء الإسلام لبنائه فقد حرص الإسلام على إزالة كل أسباب التفرقة فيها، من هذه الأسباب الخطيرة جداً؛

(١) **المرجع نفسه**، ص٤٤٦.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٣٦.

قضية الإرث والتركة، لذا فقد بين الإرث في القرآن الكريم بياناً واضحاً ولم يتركه لاجتهادات العلماء والفقهاء، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[النساء:٧]. قوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ أي: مقدر قدره العليم الحكيم، حتى لا يتوهم متوهم أن "ذلك النصيب راجع إلى العرف والعادة، وأن يرضخوا لهم ما يشاءون؟ أو شيئاً مقدراً"[1]. ودفعاً لتوهم آخر؛ بإزاحة النساء والأطفال من المال القليل، أو العكس؛ قال: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾. ثم شرع في بيان تلك الأنصبة؛ فقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۙ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[النساء:١١-١٢]. كما أعلمنا سبحانه أن هذه الأحكام هي حدود الله التي يجب أن نلتزمها ولا نتعداها؛ مبيناً جزاء الملتزم بها والمتعدي لها، فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٦٥.

خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[النساء:١٣-١٤]. وبهذه الأحكام قضى الإسلام على قانون الجاهلية الذي حُرم فيه الضعفاء والصبية والنساء، حيث كانوا "من جبروتهم وقسوتهم يجعلون الميراث للرجال الأقوياء لأنهم -بزعمهم- أهل الحرب والقتال والنهب والسلب، فأراد الرب الرحيم الحكيم أن يشرع لعباده شرعًا، يستوي فيه رجالهم ونساؤهم، وأقوياؤهم وضعفاؤهم"(١).

٢ – علاقة الأسرة مع أقاربها: كما ربط الإسلام بين أفراد الأسرة الواحدة وشرع قوانين التركات؛ ربط بين الأسرة وأقاربها، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء:٨]، جبراً للخواطر، وتأليفاً للقلوب، وتشييداً للأواصر "أعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب، ولا عناء ولا نصب، فإن نفوسهم متشوفة إليه، وقلوبهم متطلعة، فاجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم"(٢).

(د) الحدود والجنايات: بينا سابقاً عظمة الأحكام التي ضبطت الكيان البشري متمثلاً بالأسرة، وهنا سنتحدث عن بعض الأحكام التي ضبط المجتمع البشري ككل، ومن تلك الأحكام أحكام الحدود والجنايات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[البقرة:١٧٨]، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "امتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض عليهم والمساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد. وتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل؛ حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٦٥.

(٢) **المرجع نفسه، الصفحة نفسها.**

القاتل، وأنه لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد، ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية، ومن أشبههم من إيواء المحدثين... وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلهذا قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص، وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود واختيار الدية إلى الولي"[1]. ومع أن الأحكام صارمة وفيها من القوة ما فيها، إلا أن القرآن الكريم جاء لتربية المجتمع والارتقاء به، فليس القصاص انتقاماً، وليس القصاص اعتداء، وليس المتقاتلين أعداء، وإن كان الاعتداء أولاً يوغر الصدور، وينشر الشحناء والبغضاء، إلا أن القرآن الكريم يذكرهم بأخوة الدين، ويلفت أنظارهم إلى نعمة الإسلام، ويوجههم للتآخي والتحاب ولو كانت الدماء قد سالت! ففي قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ "ترقيق، وحثّ على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجاناً"[2]. "ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٩]، أي: تنحقن بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رُئي القاتل مقتولاً انذعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر، الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية والانزجار، ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكر "الحياة "لإفادة التعظيم والتكثير"[3]. هذا غيض من فيض، وقطرة في بحر القرآن، وبحثنا هذا ليس بمقدوره أن يتسع لكل تلك الأحكام فهي أكثر من أن تحصى أو تعد.

(١) **المرجع نفسه**، ص٨٤.

(٢) **المرجع نفسه، الصفحة نفسها.**

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٨٤.

المطلب الخامس: تعظيم القرآن الكريم ببيان عظمة من أنزله:

من أهم مظاهر العظمة في القرآن الكريم أن العلي العظيم سبحانه وتعالى هو من أنزله، وهو من تكلم به، والكلام على قدر متكلمه، فمن كان عظيماً فلا بد أن يكون كلامه عظيماً. ومادام القرآن كلام العلي العظيم سبحانه، فقد اكتسب عظمته منه سبحانه، ومن دلائل عظمته:

١ – ثناء الله جل جلاله على نفسه؛ لأنه أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[الكهف: ١]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "الحمد لله هو الثناء عليه بصفاته، التي هي كلها صفات كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وأجل نعمه على الإطلاق، إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله، محمد ﷺ فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم، ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيم"[(١)]. وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: ١]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذا بيان لعظمته الكاملة وتفرده بالوحدانية من كل وجه وكثرة خيراته وإحسانه فقال: (تبارك) أي: تعاظم وكملت أوصافه وكثرت خيراته، الذي من أعظم خيراته ونعمه أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام والهدى والضلال وأهل السعادة من أهل الشقاوة، (على عبده) محمد ﷺ الذي كمل مراتب العبودية، وفاق جميع المرسلين، (ليكون) ذلك الإنزال للفرقان على عبده (للعالمين نذيرا) ينذرهم بأس الله ونقمه، ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة، الذين

(١) **المرجع نفسه**، ص٤٦٩.

حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدي، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته"[1].

٢ – اقتران تنزيل القرآن الكريم بأسمائه الحسنى: ومن مظاهر عظمة القرآن الكريم أن قرن الله تعالى تنزيله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومن ذلك الآتي:

***القرآن الكريم تنزيل الله العزيز الحكيم:** قرن الله تعالى إنزال القرآن الكريم باسمه الدال على العظمة والقهر، واسمه الدال على الحكمة والعلم، فقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[الزمر:١]، فمنزل القرآن عزيز، والمخلوقات كلها مقهورة بين يديه، حكيم في أقواله وأفعاله وكلامه، ومن مظاهر عزته وكماله وفضله؛ هذا القرآن، ومن تمام حكمته ورحمته؛ إنزاله على خير خلقه محمد ﷺ، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة من تكلم به ونزل منه، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، والحكمة في خلقه وأمره. فالقرآن نازل ممن هذا وصفه، والكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أن الله تعالى هو الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته. ولكنه – مع هذا – زاد بيانا لكماله بمن نزل عليه، وهو محمد ﷺ، الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب، وبما نزل به، وهو الحق، فنزل بالحق الذي لا مرية فيه، لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور، ونزل مشتملاً على الحق في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية، وما بعد الحق إلا الضلال[2].

(١) **المرجع نفسه**، ص٥٧٧.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٧١٧.

***القرآن الكريم تنزيل من الرحمن الرحيم:** قرن الله تعالى إنزال القرآن الكريم باسمه الدال على الرحمة والفضل، وأعظم رحمة رحم بها عباده هي إنزال هذا القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[فصلت:٢]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل (تنزيل) صادر (من الرحمن الرحيم) الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها، إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به، من العلم والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة، والخير الكثير، ما هو من أجل نعمه على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين"(١). ولقد دل استقراء القرآن العظيم، على أن الله جل وعلا، إذا ذكر تنزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمنة صفاته العليا(٢).

***القرآن الكريم تنزيل العزيز العليم:** قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[غافر:٢]، فهذا القرآن الكريم تنزيل من الغالب الذي لا يُغلب، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، العليم المتصرف في الوجود بعلمه وخبرته، فلا شيء عليه يخفى، ولا أمر عنه يغيب.

المطلب السادس: تعظيم القرآن الكريم ببيان عظمة من أُنزِل عليه:

من عظمة هذا القرآن أن الله تعالى أنزله على خير رسله وأفضلهم على الإطلاق، وتتمثل هذه العظمة في الآتي:

***القسم الدال على صدق نبيه الكريم:** لا يقسم العظيم إلا بعظيم، أو على أمر عظيم، فقد أقسم الله تعالى بذاته وبجميع خلقه؛ ما نراه وما لا نراه، على صدق نبيه محمد ﷺ وعلى عظمته، وتبرئته مما يتقوله عليه المتقولون، ويتهمه به المجرمون، وأكد ما جاء به ما هو بتمتمات كاهن، ولا بقول شاعر، ولا بافتراء مفترٍ، بل هو آيات بينات أنزلها رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الحاقة:٣٨-٤٣]، قال الشيخ

(١) **المرجع نفسه**، ص٧٤٤.

(٢) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج٦، ص٣٥١.

السعدي رحمه الله: "أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل في ذلك كل الخلق؛ بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى. ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر... ولو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد ﷺ، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمراً مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقاً، وأن ما جاء به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول البشر، بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوه فوق عباده"(١).

***الثناء على النبي محمد ﷺ وتزكيته له:** ومن جوانب تعظيم الله للقرآن الكريم أن أثنى على عبده ونزهه من العيوب والغوايات والضلالات، ونزه كتابه من الافتراء والاختلاق، فقال: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾[النجم:١-٦]، لقد أقسم الله تعالى "بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي... ثم عظم الله هذا القرآن وبين أنه أوحاه إلى عبده محمد ﷺ وأن محمداً لم يكذب فيه قط، فقال: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم:١٠-١١]، أي فأوحى هذا القرآن الكريم إلى عبده محمد ﷺ (مَا أَوْحَى) من الشرع العظيم، والنبأ المستقيم. ولقد اتفق فؤاد الرسول ﷺ ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك"(٢).

***وصْف الله نبيه بأعظم الصفات:** وصف الله تعالى نبيه ﷺ بأعظم الصفات في معرض الامتنان عليه بنزول القرآن الكريم على قلبه وهي صفة العبودية. إن وصف الله رسوله

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٨٨٤.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٨١٨.

ﷺ بالعبودية في مقام تنزيل القرآن؛ "دليل على أن أعظم أوصافه ﷺ، قيامه بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين"(١). قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾[الكهف:١]، لقد "أثنى الله تعالى على نفسه وأمر عباده أن يشكروه ويحمدوه على أعظم نعمة أنزلها؛ وهي إنزاله القرآن العظيم الذي لا اعوجاج فيه ولا نقص، بل هو مستقيم أتم الاستقامة، كامل أتم الكمال، "وأجل نعمه على الإطلاق، إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله، محمد ﷺ فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم"(٢).

المطلب السابع: تعظيم القرآن الكريم ببيان ما اشتمل عليه من أصول الآداب والأخلاق:

القرآن الكريم دستور القيم والأخلاق، ومنبع الآداب والفضائل، حوى في طياته كل فضيلة، وحذر من كل رذيلة، ونبه العقول النيرة على ما فيه من الشمائل والمكارم. فإن أمر فبالفضائل يأمر، وإلى المكارم يرشد، وعلى المعالي يحث، و"ينبه العقول النيرة على ما اشتملت عليه من المصالح الضرورية، التي يحتاجونها في معاشهم ومعادهم، ما يجزم بأنه لا أحسن منها، وأن حكمته تقتضي الأمر بها أشد اقتضاء. وإن نهى عن المحارم والقبائح والخبائث، أخبر بما في ضمنها من الفساد والضرر، والشر الحاصل بتناولها، وأن نعمة الله عليهم بتحريمها عليهم وتنزيههم عنها، وتكريمهم وتعلية أقدارهم عن التلبس بها فوق كل نعمة، فالمأمورات مشتملات على الصلاح، والمحرمات مشتملات على المفاسد"(٣).

إنَّ هذه الأخلاق والقيم أكثر من أن تحصى، وبحثنا هذا المتواضع لا يتسع لها وأنى له ذلك، لكننا سنعرج فيه على بعض منها، كما يأتي:

(١) **المرجع نفسه**، ص٤٦.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٤٦٩.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن** ص٣٨.

١ – الحث على التزكية والتطهر: إن من أعظم مقاصد القرآن في الأخلاق: الدعوة إلى تزكية النفس البشرية، والتطهر من الرذائل، فبذلك فلاح الإنسان ونجاته، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[الأعلى:١٤]، "أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق"(١)، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشمس:٧-١٠]، قد فاز من "طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح". وقد خاب من أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها"(٢). فالنفس ميَّالة للشر كما هي ميَّالة للخير، والمرء هو من يختار أي الطريقين يسلك، إن طريق الخير فالفلاح، وإن طريق الشر فالخسارة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾[طه:٧٤-٧٥]. إن تزكية النفس وتطهيرها من العيوب هي منَّة الله تعالى على أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[آل عمران: ١٦٤]، هذه "المنة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾؛ يعرفون نسبه، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحا لهم، مشفقا عليهم، يتلو عليهم آيات الله، يعلمهم ألفاظها ومعانيها. ويزكيهم من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق"(٣).

(١) **المرجع نفسه**، ص٩٢٠.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٩٢٦.

(٣) **المرجع نفسه**، ص١٥٥.

٢ – الحث على العفو والأمر بالعرف: قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم، ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم. ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾، أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصله، ومن ظلمك فاعدل فيه"(١).

٣ – إباحة كل وسائل الفضيلة والمعروف، وتحريم كل ذرائع الفساد والشر: ومن أهم أصول الأخلاق التي أصلها القرآن، وقعد احكامها، أنه أباح الفضائل المتعلقة بالفرد والمجتمع والكون، وحرم الرذائل المتعلقة بذلك، فأوجد مجتمعاً نظيفاً عفيفاً، لا مكان للفاحشة فيه، ولا مجال فيه للإغراء وترويج المنكرات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[النور:١٩]، فبمجرد الحب لانتشار الفاحشة فقد وجب العذاب وإن لم يفعلها هذا المحب، فكيف إذا فعلها قولاً وعملاً، إنه مجتمع متماسك التزم أوامر الله واجتنب نواهيه، وتأدب بآدابه، ووقف

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٣١٣.

عند حدوده، لأنه يعلم أن ربه لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الفحش، علم أن ربه لا يحل إلا كل معروف وطيب، ولا يحرم إلا كل مستقبح وخبيث، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[الأعراف:١٥٧]، والمعروف: "كل ما عرف حسنه وصلاحه ونفعه. والمنكر: كل ما عرف قبحه في العقول والفطر، لذا فقد أمرهم: بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والصدق، والعفاف، والبر، والنصيحة، وما أشبه ذلك، ونهاهم عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والزنا، وشرب ما يسكر العقل، والظلم لسائر الخلق، والكذب، والفجور، ونحو ذلك"[(١)]. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]، "والفواحش هي: الذنوب الكبيرة التي تُستفحش لشناعتها وقبحها كالزنا واللواط ونحوها"[(٢)]. كما حرم جميع الآثام التي تهلك صاحبها وتورده النار، وحرم "البغي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فدخل في هذا الذنوب المتعلقة بحق الله، والمتعلقة بحق العباد. ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾؛ أي: حجة، بل أنزل الحجة والبرهان على التوحيد. والشرك هو أن يشرك مع الله في عبادته أحد من الخلق، وربما دخل في هذا الشرك الأصغر كالرياء والحلف بغير الله، ونحو ذلك. ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرمها الله، ونهى العباد عن تعاطيها، لما فيها من المفاسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجري على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه"[(٣)].

(١) السعدي، **المرجع نفسه**، ص٣٠٥.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٢٨٧.

(٣) **المرجع نفسه**، ص٢٨٧.

٤ – الحث على العفة: العفة من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها القرآن الكريم وأمر بها، بل وقيدها بسورة كاملة هي سورة يوسف عليه السلام، مبيناً الأخلاق التي يجب أن يتخلق بها المسلم العفيف، وإن تهيأت له ظروف المعصية وتزينت إليه. والعفة في اللغة: "الكف عما لا يحل ولا يجمل"(١)، "ورجل عفيف المئزر: عف عما يحرم عليه من النساء"(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[النور:٣٣]، وقال ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّه»(٣). وقال الراغب: العفّة حصول حالة للنّفس تمتنع بها عن غلبة الشّهوة، والمتعفّف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر، والاستعفاف: طلب العفة(٤). ولقد حث الإسلام على العفة ورغب فيها، لينشأ المجتمع على القيم والأخلاق والآداب، ومن الأمور المعينة على العفة: غض البصر، وعدم الدخول على الآباء أوقاتا محددة، ومن وسائل العفة عدم التبرج، ومن وسائل العفة عدم الخضوع بالقول، ومن العفة عفة المنطق والكلام

والخلاصة: أن هذه حالة واحدة عبر عنها القرآن بألفاظ عديدة كلها طهر وأدب، وقيم وأخلاق، وفضائل ومكارم، لتبين أن القرآن الكريم قرآن العفة والطهر، قولاً وفعلاً وسلوكاً، ولو أردنا استقصاء ألفاظ العفة فيه؛ لضاق بنا الوقت، ولما وسعنا البحث، فنكتفى بهذا القدر في هذه العجالة السريعة.

الخاتمة:

(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ج١، ص١٠٢.

(٢) مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج١، ص١٦.

(٣) متفق عليه، البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، حديث رقم: (١٤٢٧)، ج٢، ص١١٢، القشيري، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، حديث رقم: (١٠٥٣)، ج٢، ص٧٢٩.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن مفضل، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق – بيروت، دار القلم – الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ)، ج٢، ص١٠٣.

توصل الباحث في بحثه المتواضع للنتائج الآتية:

١. مادة: (عَظُمَ) تدل على الإجلال والتقدير والتوقير وفع الشأن ورعاية الحرمة.

٢. تعظيم القرآن الكريم يعني: توقيره إجلاله وتبجيله ورفع شأنه، واستشعار أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ حتى يَعظُم قدره في النفس، وترتفع مكانته في القلب، وتغشى جلالته الأبصار، فتنحني لعظمته الجباه، وتهمع له العيون.

٣. تناول الشيخ السعدي موضوع تعظيم القرآن الكريم في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" من عدة جوانب، وهذه الجوانب أهمها:

*الأمثال فيها تثبيت تعظيم القرآن الكريم؛ من خلال التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل، كنسبة المحسوس إلى الحس. بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر، وإبطال أمر.

*بيان أساليب وسائل تدبر القرآن الكريم، ومنها أسلوب الاستفهام، وبيان أن علة إنزال القرآن هي التدبر، والحث على الانصات له والاستماع لآياته، والتشنيع الصريح على الذين لا يتدبرون آيات الله.

٤. من تعظيم القرآن الكريم بيان أوصافه وخصائصه، التي تعددت ومنها: القرآن، والفرقان، والبرهان، والنور، والكتاب، والهدى، والذكر، وكلام الله، وأحسن الحديث، وتصدع الجبال من تأثيره، وأنه سليم من التحريف والتبديل.

٥. من تعظيم القرآن الكريم بيان أحكامه التشريعية الشاملة.

٦. اقتران تنزيل القرآن الكريم بأسمائه الحسنى، جانب مهم للغاية من الجوانب الدالة على تعظيم القرآن الكريم.

٧. بيان عظمة من أُنزِل عليه القرآن والثناء عليه وتزكيته له، دليل عملي على تعظيم القرآن الكريم.

التوصيات والمقترحات: يوصي الباحث من يأتي بعده من الباحثين بالآتي:

١. تحويل قضية تعظيم القرآن الكريم إلى برامج عملية توعوية للأطفال والشباب والكبار، عبر شاشات الإعلام المختلفة، وكذا عبر برامج التوعية الدينية في المدارس والمساجد، ودور التحفيظ، وغيرها من مراكز التعليم.

٢. إنشاء مراكز بحوث تعنى بتعظيم القرآن من حيث الوسائل والأساليب والكيفية.

٣. تربية النشء على حب القرآن وتعظيمه وغرس هذه القيمة في قلوبهم منذ الصغر، وربطهم به منذ نعومة أظفارهم.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (١٩٧٩م)، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عيد السلام هارون، بيروت: دار الفكر.

٢. آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف، (١٣٩٤هـ)، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، (الطبعة الثانية). الرياض: دار اليمامة.

٣. الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، بيروت: المكتب الإسلامي.

٤. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، (١٤٢٢هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (الطبعة الأولى). بيروت: دار طوق النجاة.

٥. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (١٤١٨هـ) الجواهر **الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (الطبعة الأولى). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٦. الجوهري، نبيل، (١٤٤١هـ)، **الدلالة اللغوية لكلمة تعظيم**، (بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم). الخرطوم.

٧. دبور، محمد عبد اللاه عبده، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، **أسس بناء القصة من القرآن الكريم**: دراسة أدبية ونقدية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، بالمنوفية.

٨. دوزي، رينهارت بيتر آن، (من ١٩٧٩ إلى ٢٠٠٠م)، **تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سليم النعيمي**، (الطبعة الأولى). بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

٩. الرازي، محمد بن أبي بكر، (١٤١٥هـ) **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان.

١٠. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، (١٤١٢هـ) **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (الطبعة الأولى) دمشق – بيروت: دار القلم – الدار الشامية.

١١. الزركلي، خير الدين محمود، (٢٠٠٢م)، **الأعلام**، (الطبعة الخامسة عشرة). بيروت: دار العلم للملايين.

١٢. السخاوي، علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد، (١٤١٩هـ – ١٩٩٩م)، **جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: عبد الحق عبد الدائم سيف القاضي**، (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

١٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (٢٠٠٠م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٤. السندي، سليمان بن عمر، (١٤٤١هـ)، **غرس قيمة تعظيم الله وأثره في الانتفاع بهدايات القرآن**، (بحث مقدم إلى المؤتمر القرآني الدولي الثاني في هدايات القرآن الكريم). الخرطوم.

١٥. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦. الطبراني، أبو بكر سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الطبعة الثانية). القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

١٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي، (٢٠٠٠م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة).

١٨. الطيار، عبد الله بن محمد، (١٤١٢هـ)، **صفحات من حياة علامة القصيم**، القاهرة: دار ابن الجوزي.

١٩. العلوي، محمد خير، (١٤٠٨هـ)، **معالم القصة في القرآن**، (الطبعة الأولى). عمَّان: دار العدوي.

٢٠. ابن سيده، علي بن إسماعيل، (٢٠٠٠م)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢١. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، بمساعدة فريق عمل، (الطبعة الأولى). الكويت: عالم الكتب.

٢٢. عويضة، محمد نصر الدين محمد، (١٤٣٢هـ)، **صفحات فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب**، المكتبة الشاملة، بدون بيانات.

٢٣. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (٢٠٠٥م)، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (الطبعة الثامنة). بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٤. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، بيروت: المكتبة العلمية

٢٥. القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (الطبعة الثانية). دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، **مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)**، تحقيق: محمد حامد الفقي، (الطبعة الثانية). بيروت: دار الكتاب العربي.

٢٧. ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٩٧م) **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

٢٨. القشيري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٩. مصطفى، إبراهيم، الزيات، أحمد، عبد القادر، حامد، النجار، محمد، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة.

٣٠. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، (١٤٣٠هـ)، **التفسير البسيط**، تحقيق: مجموعة من المحققين، (الطبعة الأولى). الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣١. اليحصبي، القاضي عياض بن موسى، (١٩٨٨م)، **بتعريف حقوق المصطفى، وبحاشيته مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء**، لأحمد بن محمد بن محمد الشمني، بيروت: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع.